ينقل تجربته المرئية إلى بنى وطنه فقال: « ورأى بعد هذه الدكك الموجودة بالأرض كراسى مرتفعة لجلوس رجال الموسيقى وأمامهم شموع مصفوفة على خط مستقيم ، ورأى بعد هذه الدكك محلاً مستديراً وهو محل اللعب وفى كل من طرفيه محال صغيرة بعضها فوق بعض، ورأى أشجاراً بكثرة يرى من خلالها ما يشبه الجبال والوهاد وفوق الجميع السماء والسحاب وكأن المطر يمطر . ورأى فى زاوية من هذا المحل مكاناً شبيهاً ببيت صغير وفيه امرأة وبنتان فسمعهن يتكلمن مع بعضهم فظن أن المحل متصل بالفضاء، فتعجب من ذلك فقال الإنكليزى : « لا تظن أن هذا الذى تراه حقيقة وإنما كل ذلك رسم وتصوير أعطى حقه من الاتقان والإجادة حتى صار يخال أنه حقيقى [٢٥] ، ومع أن دار الأوبرا « القديمة » كانت قد افتتحت قبل صدور هذه الرواية ، فالواضح أن « علم الدين » يتكلم كمن يرى هذه الأشياء لأول مرة أو أنه يتكلم بلسان «برهان الدين » الذى لم يكن يظن أن يكون من رواد المسارح فى هذه المرحلة المبكرة من اتصالنا بهذا الفن .

ومن الخمائر التى كانت تصلح أن يبنى عليها الكاتب قصة فى كتابه لو كان فكر فى ذلك . . تلك الأحلام الرومانسية التى طافت بخيال « برهان الدين » لأنه تصور أن إحدى النساء تطلعت إليه وأشارت ، لكنه يكتفى بسرد تصوراته وإيجاز مشاعره